

ذكريات من البادية !...

كيف اتجهت إلى البادية ؟

للأستاذ روكس بن زائد العزيزي

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

مقال منشور في مجلة الدارة– العدد 2- ص 139 – 158

1407 هـ - 1987 م



ذكريات من البادية !...

كيف اتجهت إلى البادية ؟

للأستاذ روكس بن زائد العزيزي

إذا أراد الله أمراً، هيأ أسبابه. صدق من قال هذا! لم يخطر لي على بال أن أتجه يوماً إلى ارتياد البادية، أو أن أطوف فيها، أو أكتب عنها حرفاً.

لكن اتفق أني كنت في يوم ممطر، يصاحب مطره شآبيب من البرد، في شهر شباط سنة ١٩٢٢م منحدراً من المدرسة حيث كنت أعمل، فألفيت عند دار الحكومة التي يسمونها (السرايا) رجلاً بدوياً، قد أحاط به أربعة من جباة الضرائب، التي يدعونها (رسوماً)، وهو يصرخ بأعلى صوته: «يا رجال أعتقوني لوجه الله، ذبحني البرد».

* كان أحدهم قد نزع عنه عباءته،
* والثاني أخذ خنجره ــ الشُّبْرِيّة ــ كما يسميه الأردنة ــ
* والثالث أخذ الحبل.
* والرابع أمسك بتلابيبه،

فلما رآنى، رفع صوته وقال «أنا إبْوَجْهكْ».

قلت: «وصلت !».

دفعت لهم ما يطالبونه به، وصحبت الرجل إلى الدار، في طرف مادبا الجنوبي، وهي أقصى البيوت يومذاك. غيرت ثوبه المبلل، وبعد أن أصطلى ودفىء وطَعِم، بات ليلته ناعماً، دفعت له في الصباح ثمن كيس الفحم، وسامحته بما دفعت عنه، فإذا هو يملي قصيدة يثني فيها عليّ لموقفي. ليس هذا مكان ذكرها! . . .

أعجبني ما يتحلّى به هذا الرجل من الوفاء. في النهار التالي سجلت الحادثة بمقال ــ وهو أول مقال ينشر لي ــ وبعثت به إلى جريدة أسبوعية كانت تصدر في (القدس) لا (بطريركية اللاتين) أسمها (رقيب صهيون*)، فلما نشر المقال، وقرأه المسئولون في عمان أوفدوا مفتشاً يطلع على حقيقة الأمر، فلما ثبت عنده صدق ما ورد في المقال، الغيت ثلاث ضرائب، ولم تبق على الفحم سوى واحدة، لا تزيد على غرشين عن كل كيس من الفحم. ــ

يومذاك ــ لقد شجعني ذلك على أمرين: ــ

١ــ مواصلة الكتابة للجرائد ــ من غير أن يذكر اسمي ــ

٢ــ دراسة أحوال البدو.

ذهب الرجل إلى أهله، وصار من عملاء والدي[١] في متجره الذي كان يتسلى به هو ومن هم في مثل سنه من رجالات العشيرة، قلت عملاء على حد تعبير الأرادنة ولا أقصد العمالة السياسية لأن المرحوم والدي كان شديد الإبتعاد عن السياسة.

وصرت كلما أقبل البدو إلى الأرض القريبة من (مادبا)، توجهت إليهم، راجلاً أحياناً، وممتطياً فرسي أحياناً، وقد لقيت منهم تجهماً في بادىء الأمر، ولاسيما يوم صرت أسأل من ألقى منهم عن اسم عشيرته، وزاد تجهمهم يوم رأوني أصور وسوم[٢] الإبل والغنم، لأن بعضهم تصور أني أمهد لتعداد إبلهم وأغنامهمْ، وقد كان البدو ينفرون من كل شيء له علاقة بالحكومة، ويسمونها (الدولة)، ومن أقوالهم المأثورة «الله يجفينا شر الدولة!»

فلما عرف شيوخهم ووجهاؤهم غرضي، تلقيت ترحيباً منقطع النظير، وعرفت بينهم باسم (رودس ولد زايد العزيزات) ولم أحاول لن أفهمهم الفرق بين (رودس و (روكس)، ومنهم من سماني (دوكس)[٣]. وهو لقب أذينه بن السميدع.

وأول ما اتجه إليه نظري هو الإهتمام بعلاقة الأبناء بالوالدين لأني وصلت إلى فريق من البدو في رحيلهم، فرأيت شاباً في نحو الخامسة والعشرين يتمتع بجمال بدوي ساحر، يحمل عجوزاً ضاوية الجسم، غطت زخارف الوشم وجهها، يشبه جمالها صاحب منصب معزول.

أستوقفته وسألته: ــ «عسى الخالة ما تشكو من مرض؟» أجاب حيشاها[٤] الحمد لله، ما بها مرض! وليه تحملها؟ أجاب: ــ «والده يا النشمي[٥] أحملتني ابطنها تسع تشهر، وأنا أحملها على ظهري! يوم الرحيل!»

سألته عن اسمه، فأجاب «ليه يا النشمي لك عندي أطلابه؟»

واصل سيره ولم يلتفت، سألت رجلاً لقيني بعده عن هوية هذا الشاب، فقال: «هذا شراري قصيراً[٦] لنا. ما تسمع يقولون افلان أبوه أبو شراري يحمله على ظهره يوم الرحيل؟

تعجبت من هذه الظاهرة، ولما تتبعتها، وجدت احترام الوالدين عند البدو عجيب، ولا سيما احترام الأم، والأخت فالأخت مجال الفخر والاعتزاز، فإذا ضيم أحدهم، هتف قائلاً «لحّد أنا أخو فلانة!» أي دون اذلالي اللحد، وأنا أخو فلانة!»

وأردت أن أعرف، هل تظل المرأة تتمتع بهذا الاحترام إذا زالت عنها صفة الأمومة والأخوة؟ . . عدت فذكرت للمرحوم أبي ما رأيت وما سمعت، فقال لي «ليت الحضر يتعلمون احترام الوالدة والأخت من هؤلاء البدو. قلت: ــ لكني سمعت رجال العشيرة عندنا يقولون: «لحّد أنا أخو فلانة» قال «أكثرهم يقولها باللسان، ولا يمارسها عملياً.»

لم يرد القدر أن يبقيني في حيرة من أمري، فقد جاء أحد عملاء والدي وزوجته معه، وبعد أن اشترى ما يحتاج إليه حان وقت الغداء فقدم الوالد للرجل طعاماً وألح عليه أن يدعو زوجته للأكل معه. ويبدو أن الرجل خجل فدعا زوجته للأكل معه. وقد فعلت على مضض.

وبعد أسبوع عاد الرجل، ولم تعد زوجته معه، فلما سأله والدي عن زوجته قائلاً «وين أم فلاح؟» أجاب «طلقتها»، فلامه والدي فكان جوابه «ماهي صارت أختي كلت معي!»

ثم صرت اسمع الكنايات عند ذكر الزوجة: ــ

أ ـ حرمتي الله يكرمك من هالطاري،
ب ـ المرة الله لا يمرمر لك ريق،
ج ـ العورة ميشاك. الله لا يعور لك عين.
د ـ الامعزبه وأنت أكبر قدر.
هـ ـ أم الأعيال الله لا يعل لك أمر. والمستورة. إلى غير ذلك من هذه الكنايات.

وسمعت ما هو أشنع من ذلك. إنه لا يحق للزوجة أن تذكر اسم زوجها، فهي تناديه هكذا «يا هاضا»(٧)، «يا هضاك»، يا هوه. ليس هذا فقط في البادية وحدها، بل شمل الحواضر، واعتبر ذهابي مع زوجتي ١٩٢٣م للنزهة ثورة اجتماعية، وسمعت من يقول «روكس تمدن خلص، خسرناه!»

وعلى سبيل الاستطراد، بأسلوب الجاحظ، فإن الزواج خارج العشيرة كان أمراً مستهجناً. وأول رجل من العزيزات تزوج بامرأة من (بيت جالا) من أسرة العَلَمْ، سُمي أبناؤه (أعيال العلمية) وفيما بعد (العلمات) وكانت شبه ثورة اجتماعية عندما تزوج ثلاثة من (مادبا) بفتيات من الضفة الغربية. وتمت الثورة عندما حلق أحدهم لحيته تنفيذاً لرغبة زوجته فصار الأمر من المعاير له إذ صاروا يلقبونه بـ «امزين دقنه». فإذا فقد أحد الرعاة نعجة وسألوه «وين حد علمك في النعجة» أجاب «حد علمي فيها عند دار امزين دقنه». ولم يسقط عنه هذا اللقب إلا بعد أن أصبح أكثر الناس يحلقون لحاهم.

ثم اتجهت إلى دراسة العلاقة بين البدو والتجار لأرى ما عند البدو من الأمانة والإعتراف بالحق، فيشاء الله أن يمهد لي الأمر من أقرب السبل، ففي أمسية من الأمسيات زرت تاجراً معروفاً وجيهاً كنت أحبه. فدخل أحد الشيوخ، وسلم. فنهض التاجر اكراماً له، وجدد الفراش والقهوة، وبعد أن تعشى الضيف وكان العشاء خروفاً ــ لأنه كان من العار أن يذبح لتكريم رجل جليل، جدي، أو عنز. فإلى ذلك الحين كان بيع ذكور الغنم من المعايب، حتى السمن كان ينظر إلى من يبيعه باحتقار! ... أذكر أني سمعت رجلاً يسأل بدوياً عما إذا كان يبيعه سمناً، فأجابه بجفاء «ليه حنا صايرين امن الفلان وقبيلته بنبيع السمن؟ السمن الله أخلقه ينْصَبّ على إيدين أجاويد الله، اكرامين اللحي:» فخجل الرجل وانصرف.

بعد العشاء قال الشيخ للتاجر «وش[٨] حسابك اللي على العشيرة؟» وكان تسديد الديون له موسمان: ـ

أ) الربيع، للبدو.
ب) والبيدر، للذين يفلحون أراضيهم.

أحضر التاجر دفاتره ـ وهي كبيرة الأوراق ليس فيها أي تسطير، ورقها ضارب إلى الصفرة، وقلبها وجمع وطرح فقال: «ثلثمية نيرة بينتوه»[٩] أي ثلاثمئة ليرة فرنسية. التفت الشيخ إلى التاجر بهدوء وقال: ـ «ما هو چثير ياأوْلدي؟» أجاب التاجر بشيء من الجده والإنفعال «الدفاتر موجودة» اما أنت تحلف وأنا عوضي على الله، أمزع دفاتري، واما أنا أحلف وتدفع، أنت وجماعتك المطلوب. واللي أطلبه ماهو چثير، أنت تعرف چم خذوا عربانك؟»

أجاب الشيخ بهدوء أكثر: «لا والله يا أبو فلان ما أعرف! قال التاجر» لعاد أنا أحلف» ازداد الشيخ هدوءاً ورشف رشفة من سبيله[١٠] وقال «لا يا أبو فلان[١١] حِنّا نشتري بخت ما نبيع بخت، لا أنا أحلف ولا أنت تحلف، ياويل حالفٌ، ياويل محلف: اللي تطلبه يجيك» ونهض ساعته ولم يقبل أن يبيت عنده. وكنت أظن انه صمم على أن لا يدفع من الدين شيئاً. لكن الذي حدث كان نقيض ذلك، لأنه أحضر ما طلب الرجل، ولم يعد إلى التعامل معه!

وكان حساب بعض التجار عجيباً، إذ لم يكن هناك قيد لوحدات ما يُشترَى، بل يسجل التاجر «عند فلان قهوة بليرة!» وعند فلان قماش بنت[١٢] بثلاث ليرات، ويبارم[١٣] بأربع ليرات وهكذا بلا تحديد. ولما صار يباع السمن، صارت حجارة الجدران غير المثبتة بالطين كلها مقاييس وأوزان! ـ

وأذكر مرة أن بعض التجار وزن السمن الذي في المداهن، ولما جاء يطرح ثقل تلك المداهن الخسافة[١٤] لم يجد من السمن شيئاً، فلما ضج البدو قال أحدهم «واقومكم، هن المداهن ما بهن سمن؟» صالحوه مصالحة على الذمة؟» . . . .

ومما عرفته من أمانة البدو، أن رجلاً وهو ينتظر ورود الصيد على العين ليلاً، سمع حركة فأطلق النار في الظلام. فإذا هو يسمع الصرخة، فلما وصل إلى مكان الصوت، وجد رجلاً

مقتولاً، فلفّه ووضعه في مغارة قريبة، وأخذ بندقيته. وبعد أيام مرّ أبو القتيل وهو ينادي: «يا من علم يا من سمع عن فلان وهو يصلي على محمد أو يذكر الله!» فسمع القاتل، ولم يتحرك، إلى أن انصرف والد القتيل، فتبعه وقال له، «أحلف بالله وبمحمد رسول الله، انك ما تطرد[١٥] القاتل، طرد قاتل العمد، وأنا أدلك على قتال ابنك» . . .

أجاب «لك الله ومحمد رسول الله أنيَ ما أطرده طرد قاتل العمد، مادام القتل وهمه! . . .» فلما حلف قال له «يا آمجبي صلاة محمد، أنا قتلت ابنك خطأ» وهذة بارودته! «فأخذ الوالد البارودة، ولما ذهبت الجاهة للعطوة قال الوالد المفجوع» لا عطوة ولا غيرها، الله انطي أو هو أخذ، والقدر ما يشاور، واللي قتل فلان هو عوض عنه! «وقال لي رجل صادق أن حفيد القاتل بعد حين ينكر يريزه أضاعها شراري ثم أخذ يصرخ «يا من شاف البريزة اللي وقعت مني أو هويصوم ويصلي على محمد.» فظل البائس واضعاً قدمه على البريزة، إلى أن ذهب الشراري فأخذها حفيد الذي أعترف بالقتل اكراماً لصلاة النبي.

● الفتاة البدوية قبل الزواج والحرية ●

كنت في زيارة لفريق البدو الذي يقيم معه فريق النصارى، وجماعتنا ورعاتنا معهم، فدعاني جار لنا، وبعد لحظات سأل الوجيه عن ابنته، فقالت له أمها (فلانة تعلل)[١٧] والغرض من هذه السهرة التي يسمونها التعلية، منح الحرية للفتاة لتختار الزوج الذي يناسبها. لأن البدو الأصلاء لا يُكْرِهون فتاة على الزواج بغير الذي تحب، على شرط ألا يثرثر. وإذا اتهم أحد المتعللين بأنه قبّلَ هويته، يحاسب هو وعشيرته كما يحاسب المجرم، لأنهم يقولون «من باس[١٨] داس» وأذكر أن رجلاً كان يحب فتاة اسمها (رخية) اتهمه بعض خصومه بأنه قبلها وهو يسهر معها، فساقوه للقاضي، ففرض عليه أن يجتاز البشعة[١٩] وبعضهم يدعوها البلعة. فلما ذهب إلى المبشع، براه من التهمة فخاطب شقيقا من أشقائه قائلاً:

يـارَيْتنا[٢٠]يـاخُـوي مَـا آحْنـا بِـرِيَّـينْ عَسَـاهـا مَـا هِي لَلمبلَّغْ فِضِيّـهْ[٢٠]
أَللِّي بَرَّانا آمنَ آريشَ آلعَين ياآحسينْ يِحْـرِقْ لسانَـه بَالنَّـارِ آلهَضِيَّـهْ[٢١]

والله ما غَيرَ ٱلنَّظَرْ وَاللَّغَى ٱلزَّينْ　　وآعلومَنَا تِظْهَرْ على الظَّاهْرِيَّةْ[٢٢]
لو قَطّعوني إوْ قَطِّعُوهَا اُبْسيفينْ　　لَأعُودْ حَياً يَومْ تِنْدَهْ (رخية)[٢٣]
صُورَ السِّما لَو رَتِّبُوهِنْ إبصفَّينْ　　لَو خَيَّرُوني قِلتْ أبْغِي رِخيةْ[٢٤]

مع كل هذا فقد زوجوها برجل لا تحبه، من غير أن تستشار على خلاف عادة البدو وهو لون من العقوبة، وبعد أن ولدت من زوجها ثلاثة أبناء ذكور، توفي الزوج، وجاءت غارة استولت على ما تملك العشيرة، وقتل أبوها وأخوها في المعركة، فلم تجدها ملجأ. فاستشارت أمها بما يجب أن تصنع، ابقاء على حياة أطفالها، فأشارت عليها أن تلجأ إلى حبيبها السابق، فذهبت معها وقالت له: «(رخية) وأعيالها أوداعة لك» كتم دموعاً كادت تفيض من عينيه، ولعل الحبيبة المحروقة كتمت جراحاً في قلبها!... ودموعاً فاضت من قلبها!...

توجه الحبيب المفجوع وذبح ذلوله التي لا يملك غيرها. وكأنما هو يذبح وحيداً له، وخاطب أخاً له اسمه (علي) قائلاً: بألم: ـ.

يا (علي) يا مَشْكَايْ حَقِّقْ (رخِية)　　عَطْهَا لَهَمْ لَأعيالْها لا يجُوعُونْ[٢٥]
لَصَار أهْلَهَا وَدِّعُوهَا آمعيّه　　إوْ هِم قَبلْ بِيْها عِنْ جَنَابي يِفِضُّونْ[٢٦]

تكريم الضيف بـ (العداية)[٢٧]:

من التقاليد المعروفة في البادية أن الضيف العزيز، أو المكرم، يعجل بقراه، وإذا لم يكن عند المضيف ـ بضم الميم وكسر الضاد ـ ما يقري به ضيفه، أو كانت أغنامه ليست في متناول اليد، اعتدى على أول غنم يجدها في طريقه، وأخذ منها ما يكرم به ضيفه، وقام فيما بعد، بأرضاء صاحب الشاة ببديلة لها يسمونها (سنيتها)[٢٨] أي في مثل سنها ومواصفاتها. أو دفع له الثمن. وإذا خاف (العدّاي) كما يسمونه ـ من المعارضة قال للراعي، أو لصاحب الأغنام إذا كان موجوداً «أذكر الله بالمضيوف أو ماله حيلة غير الاعدادية لبيضا وجهه» فيسمح له عادة.

وكان صاحب (قرية المريجمة) جنوبي (مادبا) الشيخ (قفطان الحامد) من بني صخر من الغبين فارساً كريماً، يقري ضيوفه (عداية) فحل به ضيوف فامتطى فرسه، واعتدى على أغنام

(حنا الفرح) ولما لم يجد حطباً، أخذ القماش الذي لتاجر الأقمشة الجوال الذي حل بالقرية، وكان يبلها بالسمن ويشعلها إلى أن انضج اللحم، وقرى ضيوفه.

فلما علم (حنا الفرح) بالأمر، ركب هو وأربعة من العشيرة وأخذوا من غنم (قفطان) خمس نعاج، وقالوا للراعي «أخبر (الشيخ قفطان) أنه مردود[٢٩] عليه الفقا، هو يذبح لضيوفه من غنم (حنا الفرح) يكرم ضيوفه من غنم (قفطان) والعيب على اللي يزعل أو يحض[٣٠] ! ! . . .

فلما علم (قفطان) بالأمر، زار (حنا الفرح) معتذراً.

ومن نوادر هذا الشيخ (قفطان) أن زاره مرة قاضي مدينة (السلط) فكرمه ــ على حسب العادة بذبيحة عِداية، فلما قدم الطعام للقاضي، امتنع القاضي من أن يمد يده إلى الطعام قائلاً: «هذا مال حرام منهوب، وأنا لا آكل الحرام». فامتشق (قفطان) سيفه وهزه فوق رأس القاضي قائلاً: «هذا ما هو حرام أنا أرَضّي أهله، أما الحرام فهو البراطيل اللي تأكلها من دم الأرامل واليتامى الضعوف، والله ان ما مديت أيدك لأخلي[٣١] رأسك يدخل مع البطين، تأكله الجِلاب، كِلْ بلا چذب !».

فاضطر القاضي أن يأكل ! . . .

أحب شيخ معروف من شيوخ الأرادنة، فتاة جميلة، فخطبها فأشترطت لقبولها به، أن يكون لها شِقّ مثل شِقّه (مضيف)[٣٢] لاستقبال الضيوف وأن تكون حشمتها سبع ليال. فقبل بهذين الشرطين ونفذهما. وفي أحد الأيام كان جمهور من وجهاء مادبا يمرون بالقرب من مضيف الشيخة. ولم يحلوا به، فوقفت ونادت بصوت عال: «يا أعيال[٣٣] !! عقيدتكم ما هو نمشي ليه[٣٤] ما تحولون للغدا». فخجلوا وترجلوا، فأرسلت أحد عبيدها، وأحضر من أغنامها شاة، وبعد أن تغدوا، قالت ما معناه، «لو حللتم من غير توبيخ، لكان تكريمكم واجباً، واذبح لكل واحد منكم ذبيحة، أما وقد تجاوزتم آداب الضيافة، فأنتم تأكلون أحساناً لا تكريماً. فأخذ كل واحد من الوجهاء ينظر إلى وجه الآخر، وقال كبيرهم[٣٥]: «إنها محققة في الذي تقول».

وأعتذر القوم لها. فقالت: «لا تعودوها».

ومن ذكريات البادية: زعيمان أحدهما هوايته تربية الخيل الأصلية والبدو يقولون الخيل الأصايل، قال الشاعر :ـ

أشر الأصايل، لا تهاب الفصايل لو هنّ هزايل، لا تغالي بالاثمان !..[٣٦]

والثاني هوايته اقتناؤها، ولْنُسَمِّ الذي يربي الخيل (فاضلاً)، والذي يهوي اقتناءَها (فالحاً).

حل (فالح) ضيفاً على (فاضل)، وبعد أن أكرمه سأله عن غرض هذه الزيارة، فأجاب «سمعت أن عندك صقلاوية[٣٧] تريد تبيعها» أجاب (فاضل): ـ «ما حرم المأمون مالاً على البيع، سمه». أخذ (فالح) يساوم إلى أن أوصل الثمن إلى مائة وثمانين ليرة. فأصر فاضل على مائتين. فنهض (فالح) (وأعطى المعازيب الخلف)[٣٩]. وبعد أن مضى ساعتين رفع (فاضل) الفراش، الذي جدده لِضيفه (فالح) ومديده في (العلو)[٤٠] الذي كان قد وضع فيه مائتي ليرة ذهباً. فلم يجد الصُرَّة، فلم يشك في أن ضيفه قد سرق الصرة، فتبعه، فوجد عنده ضيوفاً. رحب بمعزبه (فاضل) صاحب الفرس، وظن أنه قدم لكي يبيعه الفرس بمائة وثمانين ليرة، الثمن الذي فرضه هو فلم يكلمه. وفي الصباح أفطر الضيوف وأفطر (فاضل) معهم. لكن الضيوف انصرفوا وبقي (فاضل) وحده، فسأله (فالح) عما يريد. قال له «إلْحَقْ»[٤١] (فالح) اقترب منه وهمس في أذنه قائلاً «ياشيخ، أنا أدري أنك خذيت[٤٢] صرة النيرات من العلو حتى أتبعك، وأبيعك الفرس. الفرس ما هي للبيع بأقل من ميتين نيرة بينتوه» !...[٤٣].

تبسم (فالح) وقال «اللي قلته صحيح، امهلني حتى أجيب لك المصاري». خرج (فالح) وأخذ يدور على عَرَبِه بيتاً وبيتاً إلى أن جمع له ما طلب بالليرة والاثنتين. فلما جمع المبلغ قال له «أعذرني ترى بعض المحتاجين استقرض مني ذهبات أوردهن علي مجيديات.. أو مانيتي أنك تفطن للمصاري حالاً بالعجل».

عاد (فاضل) فوجد عنده في المراح ابلاً لا عهد له بها، فسأل ابنه (نشمي) عن مصدر هذه الإبل، فأجاب أنا أخذت (الذخرة) اللي في العلو واشتريت هذه الإبل بها..»



صفق (فاضل) كفاً بكف، وعاد حالاً إلى (فالح) معتذراً، وعاتبه قائلاً: «كيف اعترفت بالتهمة وأنت بريء؟ ودفعت المبلغ؟ «أجاب: «لو أنكرت لقال منافسي ــ إني سرقت مال مضيفي، والناس مستعدون لقبول أية إشاعة، ولاسيما إشاعات السوء. والعامة لا تمحص خبراً، ولا تفكر فيه، وما أصدق من قال :ــ

«قد قيل ما قيل، ان صدقا وان كذبا فما أعتذارك في قول إذا قيلاً؟!...»

فأنا دفعت لك المبلغ، لأشتري تاريخي الطويل، ولا أُعَرِّضه لقالة السوء، أعاد إليه المبلغ وأقسم بالطلاق أن لا يعود إلى أهله وهو يركب الفرس التي سببت هذه المشكلة. وسلمها لفالح، فقبل الهدية والهدية لها جزية.

البحث عن كنوز الأدب في البادية :

كنوز الأدب في البادية كثيرة، ومن هذه الكنوز ما اهتديت إليه وأنا أبحث عن شواهد لمؤلفاتي الخاصة بالبادية وأهمها (قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية) الذي طبع لأول مرة بهمة معالي أمير اللواء المتقاعد (معن باشا أبو نوار) في مطابع القوات المسلحة الأردنية ١٩٧٣م، ١٩٧٤م بهمة أبو سطام المشير حابس المجالية. ثم أعيد طبعه في المطبعة نفسها بهمة سيادة الشريف الفريق الأول الركن (زيد بن شاكر) فَقَدَّمْتُه هدية لأبناء الشهداء ١٤٠١هـ ١٩٨١م. وكتابي (معلمة للتراث الأردني) المؤلف من خمسة أجزاء ظهر منها أربعة وسيتم طبع الجزء الخامس بهمة وزارة السياحة، وقد تشرفت بأهدائه إلى جلالة الحسين المفدى.

ومن تلك الكنوز القصيدة التي رواها لنا السيد (محمد الصقور) والصقور من أقرباء العزيزات ينتمون إلى صقر أخي عبدالرحمن جد العزيزات الذي تروى تقاليد البادية انه ساعد (خالد بن الوليد) رضي الله عنه في (واقعة مؤتة)[٤٥] فقدر له (خالد) صنيعه وكرمه تكريماً ما يزال البدو يذكرونه لهذه العشيرة فيقولون: «چسبك يا أعزيز طيب» «چسبك يا اعزيز امبارك». وَعَدَّل في رواية القصيدة المرحوم (سالم القنصل) والمرحوم (سلمان العلمات) وقصة

هذه القصيدة هي في سنة ١٨٣٦ تقريباً كان يعيش في البادية الأردنية شاعر بدوي اسمه (على الرميثي) نسبة إلى (الرميثة) في شمالي المملكة العربية السعودية، عصر الألم قلبه وألح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جمال النفس وروعة المظهر والشمم والنجدة ــ وكان لهذا الشاعر ابن عم يدعى (سالما) فكأن الله ــ جلت قدرته ــ قد اقتطع لعلي من الشعور الفياض وجمال الجسم والنفس من رزقه. فعاش معدماً إلا من فضائله. أما ابن عمه (سالم) فكان من الأغنياء المشهورين ومن الوجهاء. وفي أحد الأيام غزا (سالم الرميثي) عقيداً لعصبة في عِدادها (ابن عمه علي) وفي أثناء الغارة، قتلت فرس (سالم) وجرح، وفر عنه رفاقه، إلا ابن عمه (عليا) فأنه ــ ردّ عنده[٤٥] كما يقول الأرادنة والبدو عامة وحمله على فرسه وهرب به إلى أن أوصله إلى منجاته، وعولج (سالم) فشفي من جراحه فكان يعد نفسه مديناً بحياته لابن عمه (علي). فلم يكن يرد لي (علي) طلبا، إلى أن لعب القدر لعبته، فأحب الرجلان فتاة معروفة في الحي بجمالها، فتنازعا بسببها، وكما قال نابوليون: «فتش عن المرأة» ولما سئلت الفتاة أختارت (عليا) ــ على خصاصته وفقره ــ فلم يستطع أبوها إلا القبول، لأن البدو الأصلاء لا يرغمون فتاة على الزواج بمن لا تحب. فهم يقولون «المغصوبة مالها عرض». وكل ما استطاع أبوها أن يفعل، انه اشتط في طلب السياق فساعد (عليا) كل من عرفه، وجمع السياق حالاً، فتزوج (علي) فحقد (سالم) على الفتاة وعلى ابن عمه وتنكر لهما.

ولما توفيت زوجة (علي) أملق إملاقاً شقياً، فرأى أن سبب الخصام بينهما قد زال لأن الفتاة واجهت ربها. وفي ليلة كثر ثلجها، لم ينتبه (سالم) إلا وابن عمه (علي) في الشق ــ القسم المخصص بالضيوف من بيت الشَّعَر ــ فلم يلتفت إليه، على خلاف ما توجبه تقاليف البادية، ولم يقدم له طعاماً، فأثر ذلك في نفس (علي) أعمق تأثير وعاتب ابن عمه عتاباً تطرق فيه إلى الهجاء المر، بلا وقاحة وذكره بخاتمته في الحياة، فكانت قصيدته من أروع ما رأينا في شعر البادية، على طول مدارستنا له، وقد التزم فيها قافيتين واحدة في الصدر، وواحدة في العجز، على عادة فحول الشعراء في البادية. وكم كانت دهشتنا يوم رأينا هذه القصيدة ــ على ايجازها تشتمل على أكثر معاني قصيدة (الطين) للشاعر المحلق (ايليا أبو ماضي) وهذه هي القصيدة : ــ

[آثرنا أن نروي قصيدة (الرميثي) ونذكر بعد كل بيت ما يناسبه من قصيدة (الطين) ضاربين صفحاً عن اختلاف الروايات في قصيدة (الرميثي) التي ذكرها الرواة لأنه ليس هذا مكانها !! بعد أن ذكرناها في كتابنا (فريسة أبي ماضي) المطبوع في (مطبعة الاتحاد) في عمان ١٩٥٦م].

١ ــ قال الرميثي : ــ

يآخوي ما آحنا فَحِمْةٌ ما آبها سنى ... ولا آنْت شمساً تِلْهِبْ آلدَّوْباضياهْ !(٤٦ع٢)

ويقول المرحوم أبو ماضي :ــ

يا أخي، لا تمل بوجهك عني ... ما أنا فحمة، ولا أنت فرقد !

٢ ــ لَصَارْ مَا تَاكِلْ ذَهَبْ يَوم تَبْلَى ... يا آخُوي وِشْ نَفْعَ آلذَّهَبْ يَوم تَقْنَاهْ؟(٤٧)

ويقول المرحوم أبو ماضي :

انت لا تأكل النضار إذا ... جعت ولا تشرب الجمان المنضد !

٣ ــ مَلْبُوسك آمَنَ آلبَزّ تِبلاهْ بَلْوَى ... مِثْلَ آلاچفانِ آلمَيِّتِ طَالْ مَشْحَاهْ !(٤٨)

ويقول المرحوم أبو ماضي:

انت في البردة الموشاة مثلي ... في كسائي الرويم تشقى وتسعد

٤ ــ أَلمِنْوَه آللِّي بِضِمِيرَكْ آوْ هَقْوَى ... لي مِثِلْها يَاشَينْ، بآلقلب نَهْوَاهْ(٤٩)

٥ ــ نِحْلَمْ آحلوماً حِلْوَةٌ يَوم نَرْضَى ... وآتِمّرّ يَومَ آلسَّعِدْ مَابَانِ مَطَاهْ !(٥٠)

أما المرحوم أبو ماضي، فقد عبر عن هذين البيتين بأربعة أبيات هي :

لك في عالم النهار أماني ... ورؤى والظلام فوقك ممتد،

وبقلبي كما بقلبك ... أحلام حسان، فأنه غير جلمد،

أماني كلها للتلاشي ؟ ... وأمانيك للخلود المؤكد ؟

لا، فهذي، وتلك تأتي وتمضي ... كذويها، وأي شيء يؤبد !...

ويقول الرميثي معرضاً بجبن ابن عمه، ونقص في رجولته : ـ

٦ ـ يَومَ آلرمَاحِ آتنا وِشْكْ لَيْهْ تَلَوّى؟ وَآلتِّرفْ يومِ آيفَارْقَك لَيْهْ تِشَهَّاه؟[٥١]

والمرحوم أبو ماضي يعبر عن شطر من بيت الرميثي بيت تام قال :ـ

وإذا راعك الحبيب بهجر ودعتك الذكرى الا تتوجد؟

٧ ـ ويقول الرميثي : ـ

وِآدمُوعَنا وَآلضِّجِيج لَنابية سَلْوَى مِثِيلَهْ، ياشَين لَصارْ تَلقَاهْ ![٥٢]

ويقول المروحوم أبو ماضي : ـ

أدموعي خلّ ودمعك شهد؟ وبكائي ذلّ ونوحك سؤدد؟
وأبتسامي السراب لاريّ فيه وابتساماتك اللآلي الخُرد؟

ونلاحظ أن الشاعر المتفوق قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوي ببيت واحد، فوق هذا لم يحسن أبو ماضي الطباق. إذ قال «ادموعي خل ودمعك شهد؟ والصواب أن يقول للمطابقة: ـ أدموعي خلّ ودمعك خمر؟ لكنه لم يوفق.

٨ ـ وقال الرميثي :ـ

كِلِّيتنا نَمْشي آوْ نَحْيَا لا تُوهْمَكْ ياآلضَّبعْ نَفْسَك إبْمَشهاهْ ![٥٣]

والمرحوم أبو ماضي يقول :ـ

أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد

٩ ـ ونرى الرميثي يقول بيتاً في منتهى الروعة :ـ

هذا آلقِمَرْ وَآلنَّجمْ وَآلشّمِسْ تِعْلَى وِآنحو مِسَك مِثْلَ آلخَرابِيشْ تِنْصَاهْ[٥٤]

أما المرحوم أبو ماضي، فيعبر عن هذا البيت بثلاثة أبيات :ـ

النجوم التي تراها أراها حين تخفي، وعندما تتوقد



قـمـر واحـد يـطل عـليـنـا وعـلى الـكـوخ والبنـاء الموطـد
الـك القصر دونه الحرس الشاكي ومـن حـولـه الجـدار المشيـد

١٠ــ ويقول الرميثي :ــ

حِيَّاتك آلـي آسيوفْهَم نُورْ يَلظى ما يِمْنعونَ آلموتْ إنْ جاك مِعْداه ![٥٥]

يضطر أبو ماضي سامحه الله لنظم ثلاثة أبيات للتعبير عن هذا البيت :

ألـك القصر دونه الحرس الشاكي ومـن حـولـه الجـدار المشيـد؟
فـامنـع الـليـل أن يمـد رواقـاً فـوقـه والـضـبـاب أن يـتـلبـد،
مـرقـد واحـد نـصيـبـك مـنـه افتـدري كم فيـه للذر مـرقـد؟

١١ ــ ويقول الرميثي :ــ

الله يِخُونـَـك كِنتْ لـلنَّـاس مَنْصَى حَتَّ آلعَشافي آخو مِسَكْ مَا لِقَيْناه ![٥٦]
١٢ ــ أَلَثَّلج بِذْري وَالسّوَاعِيرْ تِضْوي هَبَّيْتْ نَنْصى آلعَبِدْ وَالله نَنْساه ![٥٧]

وقد عبر الشاعر المهجري عن هذين البيتين بثلاثة أبيات هي :

زرتنـي عنـه والـعـواصـف تـعـدو في طـلابي والجـو اقـتـم أربـد
بينـها الكلب واجـد فيـه مـأوى وطعـامـاً والهـر كـاكلب يـرقـد
فسمعت الحيـاة تـضحـك مـني اتـرجـي ومـنـك تـابى وتجحـد

ويختم القصيدة بقوله ــ أي الرميثي :ــ

إنْتِهْ إوْ مَا ثْمرتْ تِسْقِطْ آو تَبْلَى وِآتْرَابْ قَبْرِكْ سَافِيَ آلرِّيح تَسْفَاه[٥٨]

وهي خاتمة رهيبة جداً.

بقيت قصيدة الرميثي التي رثى بيها زوجته، وقد عُبث فيها، لما قدمت الكتاب للمطبعة ــ وهانذا أروي ما سلم من أبياتها من العبث ــ . أما شيخة القصيد فمثبته في كتابنا فريسة أبي

ماضي مع تفسيرها. وقد اخترت لها رواية المرحوم الصديق الشهم (توما الحمارنة) صاحب الفضل في ايصال مياه عيون موسى إلى (مادبا)، يوم كان رئيساً لمجلس (مادبا) البلدي.

وقد سلمت الكتاب لمطبعة الأستاذ الكردي بتوصية من المغفور له سماحة (الشيخ ابراهيم القطان) طيب الله ثراه، وبعد أن كتبنا اتفاقاً يقضي بأن أي اختلاف بيننا يحسمه المغفور له الأديب (شكري باشا شعشاعة)، بدأت المطبعة بطبع الكتاب الذي كان قد توقف طبعه، وأن الأيدي قد لعبت به، فتوجهت إلى المطبعة وإذا الباقي من الكتاب اشلاء، فلممتها وذهبت بها إلى (مطبعة الاتحاد) راضياً من الغنيمة بالاياب مفلساً ! . . . ولم أرد أن أزعج المرحوم الباشا، فوجدت أن كثيراً من القصائد وتراجم الشعراء كلها قد فقدت، وفي عداد ما فقد رثاء (علي الرميثي) لزوجته، وليس عندي نسخة ثانية، ثم أثيرت زوبعة قيل فيها: ــ

أ ــ أن الرميثي شخصية وهمية.
ب ــ أن العزيزي سخر شاعراً شعبياً ينظم القصيدة التي هي أصول (قصيدة الطين).
جـ ــ وأن العزيزي يستشهد بالموتى من الناس.

فكان علي أن أثبت الحقيقة بشهود أحياء يعرفون القصيدة.

فكان من الشهود الاحياء يومذاك خمسة كتبوا شهاداتهم بأيديهم نشرتها في (مجلة الحكمة) في (بيروت) وتناقلت صحف العالم العربي والمهجر قضية (قصيدة الطين) وأصولها.

وكان الشهود :ــ

١ ــ المرحوم (سلامة الغيشان) الذي يعرفه الجميع شاعراً محلقاً وراوية للشعر الشعبي.
٢ ــ المرحوم (شحادة المصاروة) المعروف بكونه راوية للشعر وشاعراً.
٣ ــ (محمد بن حماد بن آغريز العقيلي) الشاعر والراوية. وكان خصماً لي، كما هو مشهور[٥٩].
٤ ــ المرحوم (يوسف بن سليمان الصوالحة) وهو راوية للشعر.
٥ ــ المرحوم (عيس عودة الله الزعمط) وكان رواية لاشعار البادية.



فلما اسقط في أيدي المتهمين قالوا «ان الأمر توارد خواطر» فثبت أن والد المرحوم (ايليا أبو ماضي) كان يروي قصيدة (الرميثي) نفسها في إدارة مجلة (السائح)[٦٠] في نيويورك في أميركة.

ولم أتذكر من رثائه لزوجته إلا أبياتاً في حين أنها تزيد على الثلاثين بيتاً وهذا هو الجزء الذي ذكرته:

١ ـ ألبَـارْحَـهْ عَيَّي يِجْبِـحْ نِـظِيرِي	أوْحَستْ به سَمَّ آلافَاعِي آو ذَرْنُوحْ٢[١]
٢ ـ وَالقلبْ شَقَّه سَيَفْ مِرْهَفْ شِطِيرِي	خلّى آلرّميثي بَينَ آلاقْبورْ مَـطْروحْ[٢]
٣ ـ يِبْچِي آمَعَ آلدَّيَّانْ طِفْلاً صِغيرِي	إمْنَ آلحَيا يْخْفِي آدْمُوعَه إوْ لا آيْبُوحْ[٣]
٤ ـ بَلْوى (عَلِيْ) يَا نَاسْ أَمْرَهْ عَسِيرِي	إغْرابَ آلنِّيا يَغْشَاهْ بَآللّيلْ وآجْوحْ[٤]
٥ ـ يَا لَوعِتِي بَآلقلبْ فَارَقْ عَشِيرِيْ	لَوْ بَاحْ حِزْنِي صِرت بِآلنَّاس مَفْضُوحْ[٥]
٦ ـ آلصَّبِرْ فَارَقْنِي آوْ قَلبي چِسيرِي	كِصِيْم آمنَ آلسَّاقينْ بَآلقَاعْ شَرْشُوحْ[٦]
٧ ـ مَا آدري آمْنَ (آهِتِمان) والا (اللضيري)	إسمي غَدا مِنْ بَابَة آلناس مْمسوحْ[٧]
٨ ـ ياناس جيف أعيش من هو نظيري	لا ظَلّ له ولِغاً إولا عادبَهْ رُوحْ[٨]
٩ ـ خِشْفاً آوْ بَالزِّيناتْ مَالَه نِظِيرِي	مِنْ عِقِبْها قَلبي آمْنَ آلحِزِنْ مْجْروحْ[٩]
١٠ ـ خِشْفاً شِبيهَ آلرِّيْم رِيْحَه ذِرِيرِي	صِبُورْ لا تِشْكِي آو بالرَّما آتْبُوحْ[١٠]
١١ ـ ما يِنْسِمِعْ لَهْ حِسَّه غَضِيري	صِفُوح آعْنَ آلجيرانْ وَآلبيتْ مَفْتُوحْ[١١]

التفسير: ـ

١ ـ البارحة كان بصري عتيداً مضطرباً شعرت كأن في عيني سم الحيات أو ذر فيهما الذرنوح في لسان العرب ومحيط المحيط وأقرب الموارد الذرنوح من السموم.
٢ ـ واللقب مزقة سيف حاد مسنون جعل الرميثي مطروحاً بين القبور.
٣ ـ يبكي في الصحاري كأنه طفل صغير، ولخجله يحاول أن يخفي دموعه ولا يبوح بحزنه.
٤ ـ بلوى على الرميثي ياناس أمرها عسير وغراب البين يفاجئه في الليل وفي الصباح.

٥ ـ حزني مستقر في قلبي لقد فارقني الحبيب الذي أعاشره، ولو ظهر حزني على حقيقة لفضحت بين البشر.

٦ ـ لقد فارقني الصبر وكسر قلبي كمن كسر ساقاه وطرح كالثوب البالي في الأرض.

٧ ـ لم أعد أعلم من أي العربان أنا، أأنا من هتيم أم من اللضيري الضائعين اسمي أضحى ممسوحاً من بين الناس.

٨ ـ أيها الناس كيف أعيش من الذي تشبه مصيبته مصيبتي ؟ لا تبقى لي حبيب ولا يبقى في روح.

٩ ـ فقدت غز الا ليس في جميلات النساء من تشبهها فقلبي بعدها مجروح من الحزن.

١٠ ـ هي غزال يشبه الريم رائحتها زكية صبور على المكاره لا تشكو كتوم للسر لا تبوح بما يلقى إليها من أسرار.

١١ ـ صوتها خافت، لا يسمع لها أحد صوتها، تصفح عن جيرانها ان أساءوا لها وبيتها مفتوح للضيفان.

● ● ● ●

هوامش :

* ـ أي الجريدة التي تراقب تحركات الصهيونية ـ يومذاك ـ .

١ ـ كان والدي من التجار المعروفين، ولما تقدمت به السن، صار متجره للتسلية.

٢ ـ يسمى الأرادنة سمات الحيوانات وسوماً جمع وسيم.

٣ ـ (روكس أورينتس) لقب أزينة الذي لقبته به المشيخة الرومانية ومعناه (نائب الامبراطور على الشرق).

٤ ـ حيشاها ـ حاشاها الله وقاها من كل مكروه.

٥ ـ النمشي هو الفتى الجامع لكل عناصر النبل والاريحية ـ وكانوا يظنون انه ليس للكلمة أصل في اللغة وفاتهم انه من نشم بمعنى رفع وعلّ يقال: «نشم الله ذكر فلان، أي رفعه وعلّاه»، يقول البدو فلان نشمي أي جامع لكل عناصر النبل سريع إلى النجدة، وإذا قالوا نشمية عنوانها جميلة عفيفة سامية الاخلاق.

٦ ـ قصير ـ جار طلب الحماية.

٧ ـ هاضا ـ هذا ـ بقلب الذال ضاراً في حين أن أهل شمالي الاردن يقلبون الضاد ذ الا فيقولون «أذرب» في أضرب.

٨ ـ وش ـ اختصار لكلمة (أي شيء هو).

٩ ـ نيره بينتوه ـ اسم لـ (الليرة الفرنسية الذهب) لأن على بعضها صورة انثى.

١٠ ـ سبيلُه ـ السبيل هو غليون صغير.

١١ ـ جنًا ـ نحن.

١٢ـ بفت ـ نوع من القماش القطني الأبيض. يتخذ من الرجال ملابس لهم ـ قديماً ـ

١٣ـ بيارم ـ جمع بيرمة، وهي قطعة من القماش، كانت نساء الاردن ـ قبل التطوّر الاجتماعي يتخذن منها ثياباً، وهي من البفت تصبغ باللون الأسود صباغاً خاصاً وهي نوعان.

أ ـ بيرمة مفرد طولها متران.

ب ـ بيرمة مجوز طولها أربعة أمتار.

وقد بطل استعمال هذا القماش لملابس النساء نهائياً ١٩٤٥ وكان المصبوغ منه صبغاً جيداً يدعى (البيتي) أي انه صالح لملابس ربات البيوت الغنيات.

١٤ـ الخسافة ـ هي انقاص وزن الوعاء من الوزن الاجمالي.

١٥ـ طرد المجرم ـ طالبه بالجريمة، هو وأقاربه إلى الدرجة الخامسة.

١٦ـ العطوة الهدنة يراجع الجزء الثالث من كتابنا (معلمة للتراث الأردني).

١٧ـ تعلل ـ اصطلاح معناه سهر، والتعليلة والعللة هي سهرة المحبين.

١٨ـ من باس داس ـ أي من قبلّ جامع.

١٩ـ البشعة والبلعة ـ هي الامتحان بالنار ـ راجع الجزء الثالث من كتاب (معلمة للتراث الأردني).

٢٠ـ ريتنا ـ ليتنا ـ وهم يقلبون اللام راء ـ بادرة لغوية.

المعنى ـ ياليتنا لسنا أبرياء من هذا الاتهام أسأله تعالى أن يضيق الحياة على هذا القاضي بحيث لا يرى نوراً.

٢١ـ فالذي برأنا من قبلة ذات الاهداب الطويلة ـ يا حسين ـ أحرق الله لسانه بنار شديدة الالتهاب.

٢٢ـ اقسم بالله أنه لم يكن بيني وبين الحبيبة، سوى النظرات والأحاديث اللطيفة وكل شيء لنا واضح يراه الناس.

٢٣ـ لو قطعوني وقطعوا الحبيبة بسيفين فأني أعود إلى الحياة عندما تناديني (رَخيّة).

٢٤ـ فلو انهم رتبوا حوريات الجنة بصفين متقابلين، وبعد ذلك جعلوا الخيار لاخترت (رخية) مفضلها عليهن!...

٢٥ـ يا شقيقي يا (علي) الذي أشكو إليه همومي، اعط (رخية) حصة من لحم ذلولي، لئلا يجوع أطفالها.

٢٦ـ ما دام أهلها قد جعلوها وديعة لي، مع أنهم كانوا قديماً يهربون بها خوفاً مني.

٢٧ـ العداية ـ اصطلاح أردني ـ يعني أن ينهب الرجل من مواشي غيره ما يقدمه تكريماً لضيوفه فإذا كان صاحب رأس الغنم المنهوب قوياً عوض عن شانه، وان كان ضعيفاً لم ينل شيئاً.

٢٨ـ سنينتها ـ أي من سنها.

٢٩ـ مردود عليه النقا ـ مهال عليه التراث وهي من اصطلاحات الارادنة، لا شد التحديدات وتشبه اعلان الحرب. أو هي اعلان الحرب حقاً.

٣٠ـ يجض ـ يرفع صوته متألماً وهو مقلوب ضجّ.

٣١ـ لاخلي ـ لاجعلن.

٣٢ـ الحشمة، اصطلاح كان الأردانة يعنون به ملاطفة العروس، وايناسها. قبل الدخول بها من ليلة إلى سبع ليال على حسب منزلة أهل العروس.

٣٣ـ يا أعيال ـ إذا قال الأردانة أعيال نشامى عنوا بذلك انهم رجال طيبون، اما إذا قالوا هذا (عيل) بالمفرد عنوا بذلك انه طفل. أو انسان سفيه.

٣٤ـ ليه ـ لأي شيء وهو.

٣٥ـ لا تعودوها ـ لا تكرروها.

٣٦ـ اشترِ الخيل ذات الأصل لا تتهيب المساومة على أثمانها ولا تبخل بدفع الأثمان الغالية ولو كانت تلك الخيول هزيلة.

٣٧ـ صقلاوية ـ الجمع صقلاويات سلالة مشهورة من الخيول العربية الأردنية راجع كتابنا (معلمة للتراث الأدرني)، الجزء



الرابع ـ بحث الخيل.

٣٨ـ (ما حرم المأمون مالاً على البيع) المأمون هو المبارك ويعنون بذلك أن النبي ﷺ ، لم يحرم أي مقتني من المقتنيات أن يُباع.

٣٩ـ أعطى المعازيب الخلف ـ اصطلاح عند الأرادنة بمعنى ارتحال الضيف بعد تكريمه، وعند ارتحاله يقول: «خلف الله على المعازيب» أي أعاض الله المضيفين عما بذلوا. والرولة يكرهون هذا الاصطلاح ويقولون بدلاً منه «أنعم الله عليهم) أو عليكم !...

٤٠ـ العلو ـ وسادة من النسيج تضع فيه البدويات ملابسهن وتتخذ وسادة، فإذا كان الضيف كريماً، أو عزيزاً، أعطوه العلو وسادة والجمع أعلاوة. وإذا كان الزوج عزيزاً وضعت ثيابه مع ثياب صاحبة البيت. وقد يتخذ لحفظ ثياب الرجل وحده.

٤١ـ إلْحَقْ ـ أقبل.

٤٢ـ خذيت ـ أخذت.

٤٣ـ نيره بينتوه ـ ليره فرنسية.

٤٤ـ الذخرة ـ كل ما يدخر لحين الحاجة، يسمونه ذخرة أو ذخيرة.

٤٥ـ رد عنده ـ اصطلاح أردني يعني انه عاد إليه بعد أن يتخلى عنه أعوانه.

٤٦ـ ياأخي لسنا فحمة لا جمال فيها ولست شمساً تنير الكون بنورها !

٤٧ـ ما دمت لا تأكل ذهباً عندما تموت، قل لي ما فائدة الذهب الذي تقتنيه ؟

٤٨ـ ملابسك من القماش الفاخر، فتُبلَ، بمصيبة لا تحمل، كما تبلى الاكفان التي على ميت، زمن من زمن بعيد.

٤٩ـ الأماني والطموحات التي في نفسك. لي مثلها يا حقير، مستقرة في قلوبنا نحب الوصول إليها.

٥٠ـ أحلامنا وأمانينا حلوة عندما تكون راضين وان لم يحالفنا الحظ، فهي محزنة.

٥١ـ عندما تطعنك الرماح لماذا تتألم، والحبيبة يوم تفارقك لماذا تحزن وتتلهف شوقاً إليها.

٥٢ـ دموعنا كدموعك، وضحكنا كضحكك، فيها تعزية لنا أيها الجلف. لو تدبرت ذلك لرأيت انك لاتختلف عنا في شيء.

٥٣ـ كلنا ماضون إلى القبر في مسيرتنا، لا تتوهم في كبريائك أيها الخسيس، انك أعلى منا منزلة.

٥٤ـ القمر والنجوم والشمس تزور بيتك ذا الأعمدة الخمسة مثل أصغر العرائش.

٥٥ـ رجالك، ذوو السيوف اللامعة كأنها النور المتلالىء. لا يستطيعون أن يمنعوا عنك الموت إذا جاء أوانه !..

٥٦ـ قاتلك الله، الست مقصراً لقضاء احتياجات الناس؟ فلماذا صرت حقيراً إلى درك انك لم تقدم لنا طعاما في بيتك الذي هو عنوان الوجاهة والزعامة لانه ذو خمسة أعمدة.

٥٧ـ الثلج يتساقط، والبروق والصواعق تنير، وفي هذه الحالة بخلت بالطعام نقصد عبداً حقيراً وننسى الله الرزاق الأعلى.

٥٨ـ فليمحق الله كل ما جمعت من أموال ويمحقك معها، وليسلط الله العواصف على قبرك لتحول ترابة غباراً تذروه الرياح السافيات.

٥٩ـ كان رحمه الله ـ نائباً للحاكم العشائري في (مادبا) فأرسل زنجياً لاحضار مطلوب المحاكمة فلما لم يجده أخذ طفلاً عمره ثلاث عشرة سنة ومن غير سبب أخذ يجلده بعصا خيزران، فقلت له ماذا تريد من هذا الطفل ولماذا تضربه، فأجاب بطمطانية: ـ معي أمر أن أضربه مية شوحطة قبل ما يصل إلى (ابن حمّاد) ! قلت لكن ماذنبه، وافترض انه مذنب، إذا ضربته مائة عصا، يموت قبل أن يصل، فاتجه نحوي يريد أن يضربني ـ فعندها قلت للطفل أن يهرب واختطفت العصا منه وأوسعته ضرباً، فلما رأى (ابن حماد) أني أضرب سفيره جاء هاجماً علي ومعه بعض أعوانه شاهراً مسدساً يريد أن يفرغه في رأسي، وأصابتني ضربة سقطت على أثرها، فجاءت عجوز كانت في عداد من حضروا وهم كثر ورأت تصميم (ابن حماد) على ذبحي، فألقت بنفسها علي، وأسمها (سلمى الصوالحة) عندها تنبه زميل لي في المدرسة اسمه (ميخائيل الطوال) فأهاب بالحضور قائلاً: «ما هذا الحكم القراقوشي ما الداعي لاغتيال الرجل، فأخذت الاحتجاجات تتوالى. فأغمد مسدسه. وطلب أن أقاد للمحاكمة فلما صرت قريباً من تلك الغرفة، قال وجيه من العشيرة، اسمه (خليل الصوالحة) إذا

دخل العزيزي، فلن يخرج حياً، فثارت العشيرة، فاضطر للدخول في غرفته واغلاق الباب عليه فلما أقمت الدعوى عليه قال القاضي النظامي، وهو صديق لي اسمه (رشيد بن ماضي): «أنصح لك أن تتخلى عن الدعوى لئلا أكون أنا وأنت ضحية الحكم ! وهب اني حكمت، فمن الذي ينفذ الحكم. فتنازلت عن حقي وبعثت بترضية عن ضربي الزجي مائة ريال فضة واسقطت دعواي.

هذا الرجل ـ كان شاعراً، وراوية للاشعار كان بين الشهود في قضية الرميثي وكتب شهادته بيده.

٦٠ ـ مجلة السائح أو جريدة السائح، كان يصدرها المرحوم الشاعر (عبد المسيح حداد) في (نيويورك).

ملاحظة ـ تفسير رثاء الرميثي لزوجته منشور مع النص.

أهم ركائز البحث :

١ ـ مجلة لغة العرب للعلامة الكرملي المجلد الأول ١ تموز ١٩١١ ـ ١٢ آيار ١٩١٢ طبعة ثانية.

٢ ـ تاريخ العرب المطول ـ الجزء الأل الطبعة الثالثة ١٩٦١ للدكتور فيليب متي، والدكتور جبرائيل جبور.

٣ ـ لقاءات شخصية بين القبائل من سنة ١٩٢٢ ـ إلى ١٩٨٠

٤ ـ قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية ـ للعزيزي.
ثلاثة أجزاء. مطبعة القوات المسلحة الأردنية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

٥ ـ معلمة للتراث الأردني خمسة أجزاء أربعة مطبوعة والخامس في طريقه إلى المطبعة. للعزيزي.

٦ ـ فريسة أبي ماضي مطبعة الاتحاد عمان سنة ١٩٥٦

٧ ـ مادبا وضواحيها للأب جورج سابا، ورووكس بن زائد العزيزي، مطبعة الآباء الفرنسين القدس سنة ١٩٦١.

٨ ـ خمسة أعوام في شرقي الأردن للارشمندريت بولس سلمان، مطبعة القديس بولس في حريصا لبنان سنة ١٩٢٩.

٩ ـ مذكرات العزيزي من سنة ١٩٤٨ ـ إلى اليوم مخطوطة.

١٠ـ أدب البادية مخطوط للعزيزي.

١١ـ المجتمع البدوي سياسته نشر جزء منه في مجلة العرب للاستيام حمد الجاسر.

١٢ـ فوائد مسجلة مخطوطة للعزيزي.

